المجلس ٣٤

ملخص مجلس سماع كتاب (البرهان في علوم القرآن) للإمام الزركشي

قراءة وتعليق أ.د. عبد السلام المجيدي

مجلس سماع بالإجازة، مع كوكبة من علماء اليمن الميمون، فضيلة كل من:

- العلامة قاسم البحر
- القاضي إبراهيم الأهدل
- الشيخ علي زوبر
- أ. د. عبدالسلام المجيدي - رئيس مؤسسة بصائر المعرفة القرآنية.

ملخص المجلس رقم (٣٤) بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ١٤٤٣/٤/٢٠

من الصفحة: ٥ - ٢٦

بداية المجلد الثالث تابع.. النوع السادس والأربعون: (في ذكر ما تيسر من أساليب القرآن وفنونه البليغة)

محتوى الملخص:

تابع...النوع السادس والأربعون: (في ذكر ما تيسر من أساليب القرآن وفنونه البليغة) من ص٥ إلى ص٢٦

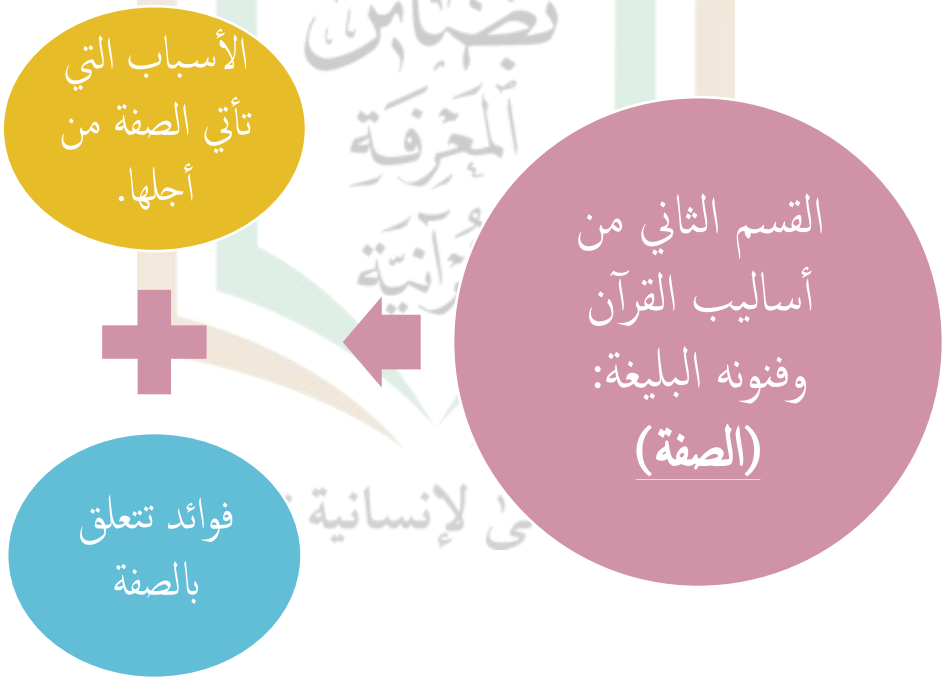

"القسم الثاني" من أساليب القرآن وفنونه البليغة: (الصفة): وهي مخصصة إن وقعت صفة للنكرة وموضحة للمعرفة.

الأسباب التي تأتي الصفة من أجلها

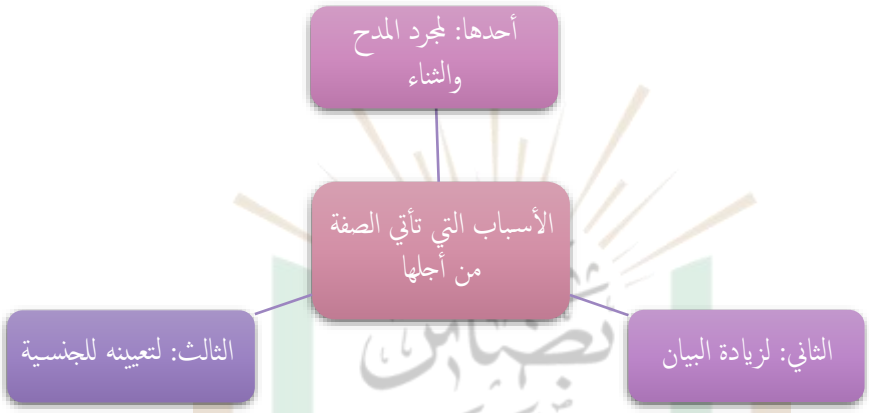

أحدها: لمجرد المدح والثناء ومنه صفات الله تعالى

مثاله:

١. قوله: {بسم الله الرحمن الرحيم} فليس ذكر الوصف هنا للتمييز لأنه ليس له مثل حتى يوضح بالصفة

قيل: إن الصفات الجارية على القديم سبحانه المراد بها التعريف فإن تلك الصفات حاصلة له لا لمجرد الثناء ولو كانت للثناء لكان الاختيار قطعها، قال الشيخ عبد السلام: "على القديم" يعني أن من أوصاف الله القديم، وكان يمكن أن يقول على الأول، والأول أولى، وإن كان ورد القديم في حديث دعاء دخول المسجد: "وسلطانه القديم"

٢. قوله تعالى: {يحكم بها النبيون الذين أسلموا} فهذا الوصف للمدح لأنه ليس ثمة نبيون غير مسلمين[١]

والتحقيق أن هذه الصفة للتمييز والأصل في المدح التمييز بين الممدوح وغيره بالأوصاف الخاصة، والإسلام وصف عام فوصفهم به إما باعتبار الثناء عليه أو عليهم، أو باعتبار أنهم بلغوا من هذا الوصف غايته، فيرجع ذلك إلى تحقيق معنى العبودية التي هي أشرف أوصاف

[١] كذا قاله الزمخشري قال: وأريد بها التعريض باليهود وأنهم بعداء من ملة الإسلام التي هي دين الأنبياء كلهم في القديم والحديث.

العباد قال تعالى حكاية عن إبراهيم وإسماعيل: {ربنا واجعلنا مسلمين لك} و قول يوسف: {توفني مسلما} وقوله: {النبيون الذين أسلموا للذين هادوا} **وأوصاف الأشراف أشرف الأوصاف** قال الشيخ عبد السلام: هذه قاعدة جيدة وينبغي أن تنقل.

الثاني: لزيادة البيان

مثاله: مثّله ابن مالك بقوله تعالى: {فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي}.

الثالث: لتعيينه للجنسية قال الشيخ عبد السلام: لجنسه، وليس المقصود الجنسية الجغرافية في هذه الأيام

مثاله:

١. قوله تعالى: {وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه}

لأن المعنى بدابة والذي سيق له الكلام الجنسية لا الإفراد، بدليل قوله تعالى: {إلا أمم أمثالكم} فجمع {أمم} محقق إرادة الجنس من الوصف اللازم للجنس المذكور وهو كون الدابة غير منفكة عن كونها في الأرض وكون الطائر غير منفك كونه طائراً بجناحيه.

٢. قوله تعالى: {وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض}

مع أن المعلوم أن الفساد لا يقع إلا في الأرض، قيل في ذكرها تنبيه على أن المحل الذي فيه شأنكم وتصرفكم ومنه مادة حياتكم - وهي سترة أموالكم- جدير ألا يفسد فيه إذا محل الإصلاح لا ينبغي أن يجعل محل الإفساد.

فوائد تتعلق بالصفة

- الأولى: الصفة العامة لا تأتي بعد الصفة الخاصة
- الثانية: تأتي الصفة لازمة لا للتقييد
- الثالثة: قد تأتي الصفة بلفظ والمراد غيره
- الرابعة: قد تجيء للتنبيه على التعميم
- الخامسة: قد يحتمل اللفظ كثيراً من الأسباب السابقة
- السادسة: إذا اجتمع مختلفان في الصراحة والتأويلقدم الاسم المفرد ثم الظرف أو عديله ثم الجملة
- السابعة: في اجتماع التابع والمتبوع أنهم يقدمون المتبوع

الأولى: الصفة العامة لا تأتي بعد الصفة الخاصة

فلا تقول: هذا رجل فصيح متكلم لأن المتكلم أعم من الفصيح إذ كل فصيح متكلم ولا عكس قال الشيخ عبد السلام: يعني كان ينبغي أن يقال هذا رجل متكلم ثم يقال فصيح.

وإذا تقرر هذا أشكل قوله تعالى: {واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا} إذ لا يجوز أن يكون {نبيا} صفة لـ "رسول" لأن النبي أعم من الرسول إذ كل رسول من الآدميين نبي ولا عكس؟

قال الشيخ عبد السلام: هاهنا سؤالان: السؤال الأول: هو ما ذكره ٦ لأن الأصل أن الرسول أخص من النبي، والسؤال الثاني: لماذا وصف عيسى نفسه بأنه كان رسولاً نبياً ووصف أباه إبراهيم في نفس السورة كان صديقاً نبياً ولم يصفه بالرسالة.

الجواب: أن يقال: إنه **حال من الضمير** في {رسولا} والعامل في الحال ما في رسول من معنى **يرسل** أي: **(كان إسماعيل مرسلاً في حال نبوته)** وهي حال مؤكدة كقوله: {وهو الحق مصدقا} قال الشيخ عبد السلام: انتهى من بيان الفائدة الأولى وما يزال في النفس شيء يتعلق بزيادة بيانها.

❁ الثانية: تأتي الصفة لازمة لا للتقييد

مثاله:

١. قوله تعالى: {ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهان له به}

❁ قال الزمخشري: هو كقوله: {وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا} وهي صفة لازمة نحو قوله: {يطير بجناحيه} جيء بها للتوكيد وليس المعنى أن يكون في الآلهة ما يجوز أن يقوم عليه برهان.[٢]

❁ قال الماتريدي: هذا لبيان خاصة الإشراك بالله ألا تقوم على صحته حجة وليس لبيان أنه نوعان، كما في قوله: {ولا طائر يطير بجناحيه} هو بيان خاصة الطيران لا أنه نوعان قال الشيخ عبد السلام: هذه التي نسميها الصفة الإيضاحية أو الصفة الواقعية "ومن يدع مع الله إله آخر له برهان له به" فإن كل إله آخر دون الله لا برهان له به فهي ليست صفة تقريبية ولا تميزية.

٢. قوله: {سفها بغير علم} والسفه لا يكون إلا عن جهل وقيل: {بغير علم} بمقدار قبحه.

٣. قوله: {ويقتلون النبيين بغير الحق} ولا يكون قتلهم إلا كذلك، قال الشيخ عبد السلام: يعني لا يوجد نبي قتل إلا بغير حق

❁ ومعناه بغير الحق في اعتقادهم لأن التصريح بصفة فعلهم القبيح أبلغ في ذمهم، وإن كانت تلك الصفة لازمة للفعل، كما في عكسه: {قال رب احكم بالحق} لزيادة معنى في التصريح بالصفة.

---

[٢] ويجوز أن يكون اعتراضاً بين الشرط والجزاء كقولك من أحسن إلى زيد: لا أحق بالإحسان منه فالله مثيبه

❁ قال بعضهم: ولأن قتل النبي قد يكون بحق كقتل إبراهيم عليه السلام ولده ولو وجد لكان بحق.

❁ قال الزمخشري: إنما قيده لأن الأنبياء لم يقتلوا ولم يفسدوا في الأرض وإلا استوجبوا القتل بسبب كونه شبهة، إنما نصحوهم ودعوهم إلى ما ينفعهم فقتلوهم ولو أنصفوا من أنفسهم لم يذكروا وجهاً يوجب عندهم القتل قال الشيخ عبد السلام: وهذا تفصيل جميل مليح وهذه من الفوائد العظيمة في هذا الكتاب، ما يظهره من اللطائف البيانية.

٤. قوله تعالى: {فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج}

مع أن ذلك منهي عنه في غير الحج أيضاً لكن خصص بالذكر هنا لتأكيد الأمر وخطره في الحج وأنه لو قدر جواز مثل ذلك في غير الحج لم يجز في الحج كيف وهو لا يجوز مطلقاً.

قال الشيخ عبد السلام: الصحيح أن الفسوق لا يجوز في الحج وفي غيره والجدال قد يجوز في غير الحج ولكنه لا يجوز في الحج وأما الرفث فإنه بحسب معناه والأصل أنه يجوز في غير الحج في مواضعه المناسبة قال الله تعالى "أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم" سواء كان معناه الجماع أو القول الذي يتكلم عن ذلك.

٥. قوله تعالى: {ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله} واتباع الهوى لا يكون إلا كذلك قال الشيخ عبد السلام: يعني لا يكون إلا بغير هدى من الله، وقيل بل يكون الهوى في الحق فلا يكون من هذا النوع.

❁ الثالثة: قد تأتي الصفة بلفظ والمراد غيره

مثاله: قوله تعالى: {كأنه جمالت صفر} قيل: كأنه أينق سود وسمي الأسود من الإبل أصفر لأنه سواد تعلوه صفرة قال الشيخ عبد السلام: هذا ما تعجب منه الإمام الشوكاني ولا يعقل أن يقول الله صفراء فنقول سوداء.

❁ الرابعة: قد تجيء للتنبيه على التعميم

مثاله:

١. قوله تعالى: {كلوا من ثمره إذا أثمر}

مع أن المعلوم أنما يؤكل إذا أثمر فقيل: فائدته نفي توهم توقف الإباحة على الإدراك والنضج بدلالته على الإباحة من أول إخراج الثمرة.

٢. قوله: {وإذا قلتم فاعدلوا} مع أن الفعل كذلك وقصد به ليعلم وجوب العدل في الفعل من باب أولى قال الشيخ عبد السلام: يعني حتى ولو فعلتم فاعدلوا كقوله: {فلا تقل لهما أف}.

❁ الخامسة: قد يحتمل اللفظ كثيراً من الأسباب السابقة

مثاله: قوله تعالى: {وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد} فإن ابن مالك وغيره من النحويين جعلوه نعتاً قصد به مجرد التأكيد

سؤال: إن إلهين مثنى والاثنان للتثنية فما فائدة الصفة؟ فيه وجوه:

❁ أحدها: إن فائدتها **توكيد نهي الإشراك بالله سبحانه**[٣] وذلك لأن العبرة في النهي هو لمحض كونها اثنين فقط ولو وصف إلهين بغير ذلك من الصفات كقوله (لا تتخذوا إلهين عاجزين) لأشعر بأن الإلهين القادرين يجوز أن يُتخذا، فمعنى التثنية شامل لجميع الصفات.

❁ الثاني: **أن الوحدة تطلق ويراد بها:**

١. **النوعية** ومنه قوله ﷺ: "إنما نحن وبنو عبد المطلب شيء واحد".

٢. **العدد** نحو: "إنما زيد رجل واحد" فالتثنية باعتبارها.[٤]

---

[٣] قاله ابن الخباز

[٤] فلو قيل: {لا تتخذوا إلهين} فقط لصح في موضوعه أن يكون نهيا عن اتخاذ جنسين آلهة وجاز أن يتخذ من نوع واحد أعداد آلهة لأنه يطلق عليهم أنهم واحد فلما قال: {اثنين} بين فيه قبح التعديد للإله وأنه منزه عن العددية

❋ الثالث: أنه لما كان النهي واقعاً على التعدد والاثنينية دون الواحد أتى بلفظ الاثنين فكأنه قال: **لا تُعدد الآلهة ولا تتخذ عدداً تعبده إنما هو إله واحد** قال الشيخ عبد السلام: هذا وجه جيد جداً.

❋ الرابع: **أن "اتخذ" هي التي تتعدى إلى مفعولين ويكون: {اثنين} مفعولها الأول و {إلهين} مفعولها الثاني** وأصل الكلام (لا تتخذوا اثنين إلهين) وقدم إلهين على اثنين إذ المقصود بالنهي اتخاذهما إلهين فالنهي وقع على معنيين الآلهة المتخذة وعلى هذا فلا بد من ذكر الاثنين والإلهين إذ هما مفعولا الاتخاذ.

❋ الخامس: **أنه بدل وينوى بالأول الطرح** و فيه حسم مادة التأويل، ونظير السؤال في الآية قوله تعالى: {فإن كانتا اثنتين}

⬅ سأل مروان بن سعد الأخفش: ما الفائدة في هذا الخبر؟ أراد مروان أن لفظ كانتا تفيد التثنية _قال الشيخ عبد السلام: يعني لماذا قال "فإن كانتا اثنتين" فقوله كانتا تفهم أنهما اثنتان فلماذا أضاف اثنتين_ فما فائدة تفسيره الضمير المسمى- يعني الموضح- باثنتين مع أنه لا يجوز فإن كانتا ثلاثاً ولا فوق ذلك فلم يفصّل الخبر الاسم في شيء؟ - قال الشيخ عبد السلام: فلم يوضح الخبر الذي هو اثنتين الاسم الذي هو الضمير الألف، لم يوضحه في شيء يعني ما الزيادة التي جاءت هنا وهذا سؤال جيد جداً أجاب أبو الحسن بأنه أفاد العدد المحض مجرداً عن الصفة أي قد كان يجوز أن يقال: فإن كانتا صغيرتين فلهما كذا أو كبيرتين فلهما كذا أو صالحتين أو غير ذلك من الصفات فلما قال: {اثنتين} أفهم أن فرض الثلثين للأختين تعلق بمجرد كونهما اثنتين فقط على أي صفة كانت وهي فائدة لا تحصل من ضمير المثنى، قال الشيخ عبد السلام: ولذلك تدخل الكافرتان في هذا الوصف إلا أن السنة أخرجتهما، وإلا فإن الكافرتان تدخلان بمجرد العدد وبمجرد الوصف إلا أن السنة أخرجت أن يرث الكافر من المسلم.

❋ السادسة: إذا اجتمع مختلفان في الصراحة والتأويل قدم الاسم المفرد ثم الظرف أو عديله ثم الجملة

مثاله: قوله تعالى: {وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه} {قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما} ولما كان الظرف فيه شبه من المفرد وشبه من الجملة جعل بينهما

❋ السابعة: في اجتماع التابع والمتبوع أنهم يقدمون المتبوع

يقولون: أبيض ناصع وأصفر فاقع وأحمر قان وأسود غربيب

مثاله: قال الله تعالى: {صفراء فاقع لونها} والمعنى: أن التبع فيه زيادة الوصف فلو قدم لكان ذكر الموصوف بعده عيباً إلا أن يكون لمعنى أوجب تقديمه

قد أشكل على هذه القاعدة قوله تعالى: {وغرابيب سود} قال الشيخ عبد السلام: يعني الأصل أن يقول (سود غرابيب)،

قال الإمام الزركشي:

وهي من الآيات التي صدئت فيها الأذهان الصقيلة وعادت بها أسنة الألسنة مفلولة

قال الشيخ عبد السلام: هذا تعليق جميل بديع في بيان أن الإنسان قل أن يهتدي بالضرورة إلى وجه جوهرة البيانية أو ما يسمى بالإعجاز البياني هاهنا،

ومن جملة العجائب أن شيخاً أراد أن يحتج على مدرس لما ذكر له هذا السؤال فقال: إنما ذكر السواد لأنه قد يكون في الغربان ما فيه بياض وقد رأيته ببلاد المشرق فلم يفهم من الآية إلا أن الغرابيب هو الغراب ولا قوة إلا بالله!

قال الشيخ عبد السلام: هذا عجيب جداً لأن المقصود بالغرابيب يعني هو وصف بالسواد في ذاته وليس المقصود "الغربان"، يقال أسود غربيب أي: شديد السواد، فهذا حَسِبَ أن الغرابيب يعني الغربان ومعلوم أن من الغربان ما فيه بياض كما في المشرق والمغرب وليس في المشرق فقط،

والذي يظهر في ذلك أن الموجب لتقديم "الغرابيب" **هو تناسب الكلم وجريانها على نمط متساوي التركيب وذلك أنه لما تقدم البيض والحمر دون إتباع كان الأليق بحسن النسق وترتيب النظام أني يكون السود كذلك**

قال الشيخ عبد السلام: إذاً هذا من فهمه رحمه الله أو من منهجه الذي وضعه في فهم الإعجاز البياني وهو تناسق النظم لذاته وليس لمعناه فتناسق النظم أوجب أن يغير في القاعدة.

بصائر المعرفة القرآنية
قرآن يتلىٰ لإنسانية ترقىٰ